

لامية : المسيب بن علس

الأستاذ :

هزاع بن عيد

الشمري*

* باحث في
الدراسات
التاريخية
والعربية، وله
عدد من الكتب
التاريخية
والأدبية .

المسيب بن علس ، بضم الميم وفتح الياء المثناة وتشديدها .
وتحريك أولي علس فتحاً . شاعر من الفحول الجاهليين زمناً ،
المقلين شعراً ، كما ذكر نقاد الشاعر ورواته ، وهو نجدي الموطن من
وسطها ولكنه كان كثير الترحل والسفر إلى اليمن وعمان والعراق ،
وهذا ما يبين من أشعاره في مدح الملوك والأعيان .

ويظن أنه لم يدرك الإسلام إذ لا يوجد ما يشير إلى ذلك في
ذكر أو شعر أو سيرة ولا يستبعد من ذلك أنه أدرك عصر الدعوة
النبوية ، على رسول الله الصلاة والسلام ، في بداياتها وهذا ضرب
من الحدس والإشارات الدالة لسببين ، أحدهما أنه مدح القعقاع
ابن معبد التميمي بعينية مشهورة ، وذكر قيساً بن عاصم المنقري
في شعر له ، والاثنان وفدا على رسول الله ﷺ بالمدينة وأسلما ،
وثانيهما أنه كان خالاً للشاعر الكبير الأعشى وهذا أيضاً مدح
النبي ﷺ .

وأما نسبه، فقد ترجم له أبو زيد القرشي في جمهرته فقال:
المسيب بن علس بن عمرو بن قُمَامة بن زيد بن ثعلبة بن عدي بن

مالك بن جُشم بن جُماعة بن جُلِّي بن أحْمس بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة^(١) .

ونسبه ابن حزم في جمهرته فقال : الشاعر المسيب ، واسمه زهير بن علس ابن مالك بن عمرو بن حمامة بن زيد بن ثعلبة بن عدي بن مالك بن جُشم بن بلال ابن جماعة بن جُلِّي بن أحْمس بن ضُبَيْعة بن ربيعة بن نزار^(٢) .

فكما ترى ينسبه أبو زيد إلى ضبيعة بن قيس بن ثعلبة وهو ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . بينما يرجعه ابن حزم إلى ضبيعة بن ربيعة بن نزار ابن معدّ . ولا شك أن لدى أحدهما خطأ ووهماً . ثم يأتي محقق شعره أنور أبو سويلم فيجزم بأن الرجل هو من بني ضبيعة بن ربيعة ، وأظنه اعتمد في ذلك على رواية ابن حزم وابن الكلبي والعوتبي^(٣) .

ومهما يكن من اختلاف في كونه من ضبيعة بن ربيعة أو من ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة ففي النهاية هو من ولد ربيعة بن نزار الذي تلتقي فيه القبائل الربيعية العدنانية .

والمهم أن المسيب بن علس أحد مفاخر العرب شعراً ، صورة ولغة وجزالة وفحولة . والمتتبع لشعره يجد خلوه من المطولات والحواشي فهو مقتضب مباشر له عدد من القصائد والمقطعات الرائعة ، وإذا وصف السيل والإبل والطريق ومدح فإنه مصور ماهر مبدع عالي الدقة ثمين الكلمة وخطيب مجلجل يُنهِض الهمم ويطرب القلوب ويحرك السيف (والمنسف) ويخرج الدراهم والعطيات وليس أدل على ذلك

(١) الجمهرة ، ص ٥٣٩ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٩٢ .

(٣) انظر : دراسة شعره لأبي سويلم ، ص ١٢ فما بعدها .

من قصيدتيه . العينية التي مدح بها القعقاع الدارمي . واللامية التي مدح بها ذا الرقبة مالكاً القشيري . التي ستاتي معنا هنا .

عده الأصمعي من فحول الشعراء ، واستبعد منهم الأعشى الكبير وعمرو بن كلثوم وعدي بن زيد العبادي . وذكره أنه من أشعر العرب ، وروى ابن قتيبة أن أبا عبيدة قال : اتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة ، المتلمس الضبي ، والمسيب بن علس وحسين بن الحُمام المري .

وقد درس جميع المعنيين بالشعر الجاهلي خاصة وبالشعر عامة من النقاد والرواة والأدباء كالأصمعي ، والمفضل الضبي ، وابن سلام ، وأبي عبيدة ، وأبي زيد القرشي ، والأصفهاني ، والقالي وابن رشيق ، وغيرهم شعر المسيب بن علس مع ما درسوه من شعر نظرائه فيتوقف أكثرهم عند قصيدتيه ، العينية واللامية .

روى القالي أن أبا جعفر المنصور مرّ بابنه المهدي وهو يُنشد المفضل الضبي قصيدة المسيب بن علس العينية فلم يزل واقفاً من حيث لا يشعر به حتى استوفى سماعها ، ثم صار إلى مجلس له ، وأمر باحضارهما فحدث المفضل بوقوفه واستماعه لقصيدة المسيب واستحسانه إياها ، وقال له : لو عمدت إلى أشعار الشعراء المقلين واخترت لفتاك لكل شاعر أجود ما قال لكان ذلك صواباً ، ففعل المفضل^(١) .

وإذا كانت قصيدتا المسيب العينية واللامية مما استجاد النقاد والرواة من شعره ، فإن له قصائد ومقطعات جياداً أيضاً ، انظر إلى قوله^(٢) :

تبیت الملوكُ على عتْبها وشيْبانُ إنْ غَضِبْتُ تُعْتَبُ
وكالْشَّهْدِ بالراحِ أخلاقُهُمْ وأحلامُهُمْ مِنْهُما أَعْدَبُ
وكالمِسْكِ تُرْبُ مقاماتِهِمْ وريّا قبورَهُمْ أَطْيَبُ

(١) أبو سويلم ، ص ٢٥ .

(٢) أبو سويلم ، شعره .

ومنها في الحكمة :

وفي الناس من يصلُ الأبعدين ويشقى به الأقربُ الأقربُ

وله قافية بديعة من الوصف والتشبيه والمدح مطلعها :

بأن الخليطُ ورُقُوعُ الخِرْقُ ففؤادُه في الحيِّ مُعتَلِقُ

وفيها :

تامت فؤادك إذ له عَرَضَتْ حَسَنُ بَرَأِي العَيْنِ ما تَمِيقُ

بانَتْ وصَدَعُ في الفؤادِ بها صَدَعُ الزُّجاجةِ ليس يَتَفَقُ

أما القصيدة اللامية فهي ذائعة جزلة المعاني خالية الحوشي فيها من الصور الرائعة والتشبيهات الحسنة والجلجلة في المدح . وقد اختارها أبو زيد القرشي أولى منتقيات العرب وهي سبع جياذ وجعل بعدها حائية المرقش الأصغر :

أَمِنْ رَسْمِ دارِ دَمْعٍ عَيْنِيكَ يَسْفَحُ غَدَاً مِنْ مَقَامِ أَهْلِهِ أَوْ تَرَوْحُوا

وسينية المتلمس :

كَمْ دُونَ مِيَّةٍ مِنْ مُسْتَعْمَلٍ قَذَفِ وَمِنْ فَلَاحٍ بِهَا تُسْتَوَدَعُ الْعَيْسُ

ورائية عروة بن الورد :

أَقْلِي عَلَيَّ اللُّومَ يَا ابْنَةَ مَنْذِرٍ وَنَامِي فَإِنْ لَمْ تَشْتَهِي النُّومَ فَاسْهَرِي

وقافية مهلهل بن ربيعة :

جَارَتْ بَنُو بَكْرٍ وَلَمْ يَعْدِلُوا وَالْمَرْءُ قَدْ يَعْرِفُ قَصْدَ الطَّرِيقِ

ودالية دريد بن الصمة :

أَرِثْ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ بِعَاقِبَةٍ أَوْ أَخْلَصْتُ كُلَّ مَوْعِدٍ

وطائفة المتخيل الهذلي :

عرفت بأجدث فنعايف عرقُ علامات كتحيير النمَاطِ

أما لامية المسيب بن علس المنتقاة فقد مدح بها ذا الرقيبة مالك بن سلمة
الخير بن قشير ، العامري ، القشيري ، وهو من رجال العرب جوداً وسخاء وفروسية
وهو الذي أسر حاجب بن زرارة يوم جبلة وكان من أشهر أيام العرب في الجاهلية
وقد حدث قبل الإسلام بنصف قرن وكان لبني عامر على تميم وأحلافها .
والقصيدة هي هذه وقد استلثتها من شعره الذي جمعه وحققه أنور أبو سويلم
مع تطبيق ذلك على نصها في جمهرة أشعار العرب لأبي زيد . ويرى فيها خلوها من
سناد الإشباع وهذا جودٌ فيها^(١) .

- | | |
|---|------------------------|
| ١ - بَكَرَتْ لَتُحْزَنَ عَاشِقاً طَفْلُ | وتباعدت وتخرم الوصل |
| ٢ - أَوْ كُلِّمًا اخْتَلَفَتْ نَوَى وَتَفَرَّقُوا | لضؤاده من أجلهم تبلى |
| ٣ - وَإِذَا تَكَلَّمْنَا تَرَى عَجَباً | برداً ترقرق فوقه ضحل |
| ٤ - وَلَقَدْ أَرَى ظُعْنًا أَخِيلَهَا | تخدي كأن زهاءها نخل |
| ٥ - فِي الْأَلِّ يَرْفَعُهَا وَيَخْفِضُهَا | ربيع كأن متوننه سحل |
| ٦ - عَقَمًا وَرَقَمًا ثُمَّ أَرْدَقَهُ | كلل على أطرافها الخمل |
| ٧ - كَدَمِ الرُّعَافِ عَلَى مَازَرِهَا | وكانهن ضوامراً إجلى |
| ٨ - وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْفَاعِلِينَ وَفَعْلَهُمْ | ولذي الرقيبة مالك فضل |
| ٩ - كَفَّاهُ مُخْلَفَةً وَمُتَلَفَةً | وعطاؤه متخرق جزل |
| ١٠ - يَهَبُ الْجِيَادَ كَأَنَّهَا عُسْبُ | جرد أطار نسييلها البقل |

(١) الجمهرة ، ص ٥٣٩ فما بعدها ، وانظر : شعر المسيب ، ص ١٢٢ لأبي سويلم .

- ١١ - والضامرات كأنها بَقَرٌ تَقْرُو دَكَادِكَ بَيْنَهَا الرَّمْلُ
١٢ - والدُّهُمَ كالْعَيْدَانِ آزَرَهَا وَسَطَ الْأَشَاءِ مَكَمَّمٌ جَعَلُ
١٣ - وإذا الشَّمَالُ حَدَّتْ قَلَائِصُهَا رَتَكًا فَلَيْسَ لِمَالِكَ مِثْلُ
١٤ - لِلضَّيْفِ وَالْجَارِ الْغَرِيبِ وَلِلدَّ طُفْلٍ التَّرِيكِ كَأَنَّهُ رَأَى
١٥ - وَلَقَدْ تَنَاوَلَنِي بَنَائِلُهُ فَأَصَابَنِي مِنْ مَالِهِ سَجْلُ
١٦ - مُتَبَعِّجُ التِّيَارِ ذُو حَدَبٍ مَغْرُوبٌ تِيَّارُهُ يَعْلُو
١٧ - فَلَأَشْكُرَنَّ فَضُولَ نِعْمَتِهِ حَتَّى أَمُوتَ وَفَضْلُهُ فَضْلُ
١٨ - أَنْتَ الشَّجَاعُ إِذَا هُمْ نَزَلُوا عِنْدَ الْمُضِيقِ وَفِعْلُكَ الْفِعْلُ

وبعد هذا رأيت من اللازم شرح أبيات أو مفردات القصيدة فأقول :

١ - بكرت : ذهب في سفر وفارقت غدوة . وطفل : ترخيم طفلة ، اسم امرأة ، وهو بالفتح ويجوز كسر أوله ، ومعناه الرخصة الناعمة ، ورخصة البنان في بياض ، ورقيقة البشرة . تباعدت : تتحت في أرض بعيدة ، على المبالغة ، أو أنه من الصرم والفراق . التخرم : التشقق ، والثقب ، وكذلك القطع ، وانخرام الأمر : ذهابه وانقضاؤه . وفي رواية أخرى : وتجذم الوصل ، والجذم : القطع ، والمجذامة : الذي يقطع هواه ويدعه . وجذم حبل الوصل : قطعه .
وأنتي لأرى كلمة : تجذم هنا أجود من تخرم لورودها مقرونة بانقطاع وصل العشاق في أشعار العرب .

٢ - النوى : الترحل من مكان إلى مكان آخر ، والنوى : الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد . الفؤاد : القلب ، وقيل وسطه وقيل غشاؤه وقيل حبته وسويداؤه . التبل : قال في اللسان : التبل أن يسقم الهوى الإنسان .

٣ - يشبه صفاء أسنانها ولونها بالبرد لنقاوة لونه وصفائه وبياضه . وترقرق : تاللاً ،

والضحل : الماء الرقيق . يصف ثغرها بالركة لللطافته .

٤ - الطعن . بصيغة الجمع : الهودج تسير بها الإبل . وخيل الشيء : ظنه .
والخدي : ضرب من السير يميل إلى السرعة . الزهو : المنظر . والزُهاء :
الشخص وزهاء الشيء : شخوصه . وهذا فيه تشبيه وصورة رائعة من الوصف .
٥ - الآل : فسرهُ محقق الديوان بالسراب . وفسرهُ أبو زيد القرشي في جمهرته
بأنه ما يرفع للشخص بكرة وعشياً في الخبت . ولا أرى ذلك يستقيم وإنما
قصد بالآل وجه الطريق من ارتفاع وانخفاض . والريع بالفتح والكسر : الطريق
المنفرج عن الجبل . والمثن من كل شيء : ما صلب ظهره ، وما ظهر منه وقيل ما
ارتفع وصلب، وما ارتفع من الأرض واستوى ، والسحل : الثوب الأبيض . وهذا
بيت جيد من الوصف والتشبيه .

٦ - العقم والرقم عند أبي زيد : الثياب الملونة . وعند أنور أبو سويلم ، فالأول :
ضرب من الوشي أو ضرب من ثياب الهودج ، والثاني : ضرب من مخطط
الوشي أو ضرب من البرود أو من الخز .
قلت : العقم في لسان العرب : المرط الأحمر وقيل هو كل ثوب أحمر ، وضرب
من الوشي ، وأضاف قال اللحياني : العقمة ضرب من ثياب الهودج موشى ،
قال : وبعضهم يقول : هي ضرب من اللبن بيض وحممر . والرقم : خز موشى
وضرب من البرود . والنقش الوشي . الردف بالكسر : التبع ، والراكب خلفك
وكذلك الحقيبة ونحوها مما يكون وراء الإنسان كالردف . الكلل ، بالكسر :
جمع كلة ، بالكسر أيضاً ، وهي الصووعة وهي صوفة حمراء في رأس
الهودج ، والكلة : الستر الرقيق . الخمل : ريش النعام ، وهذب القطيفة ونحوها
مما ينسج وتفضّل له فضُول كخمل الطنفسة .

٧ - الرعاف بالضم : دم يسبق من الأنف : المآزر : الثياب . الإجل : القطيع من بقر الوحش والظباء وجمعها آجال .

٩ - مخلفة ومتلفة : سيان وهو كناية عن العطاء والبذل ، والتعويض بسخاء . وقد يكون الإتلاف من البطش في الحرب ونحوها . تخرَّق في الكرم : اتَّسع . الجزل : الكثير أو العظيم . وصف ممدوحه بالسخاء المتناهي ، والزائد على عطاء غيره .

١٠ - في البيت العاشر هذا شبه الجياد التي تطاير نسيئها وهو سقوط الشعر بالعُسْب الجرد وهو جريد النخل إذا نُحِيَ عنه خوصه . أما البقل فهو ضرب من النبات ليس بالدقيق ولا الجليل ، ويقال : كل نبات اخضرت له الأرض فهو بقل .

١١ - وفي هذا البيت الحادي عشر يشبه الضامرات وهي إبل السباق ببقر الوحش ، وهو ضرب من الظباء ، التي تتبع الأرض على طريق واحد في الدكاك من الأرض وهو ما غلظ منها أو هو الهضب منها ، وكذلك تقرو الأرض اللينة .

١٢ - أما البيت الثاني عشر هذا فقد اختلف أبو زيد ، في الجمهرة ، وأبو سويلم ، في شعر المسيب ، في تفسيره ، فأبو زيد روى العيدان بأنها «العبدان» بالباء الموحدة وقال: (شبه الخيل الدهم بعبيد الزنج ، والأشياء : صفار النخل وهو الدوم ، وإذا خرج طلع النخل قيل : قد كمم ، والجعل السحاب الذي قد هراق ماءه ، والجعل : الكبير) . بينما أبو سويلم شرحه بـ : (العيدان : جمع عيدانة وهي النخلة الطويلة . أزرها : ساواها وحاذها وشدَّ من أزرها . الأشياء : صفار النخل ، واحدها : أشاءة ، المكمم : النخل إذا طلعت أكمامه . والجعل : النخل القصار) .

قلت : فهذا اختلاف بين ولا محل لبعضه هنا فمن الضعف والركاكة تشبيه الشيء بنفسه . فالدهم هنا هي الإبل اللقاح أو التي تحتها صغارها أيضاً ، فهي خليط من الجليلة والدقيقة يشبهها بطوال النخل وقصاره ، العيدان والجعل ، آزر القصار الكبار حتى استوى بعضه مع بعض .

ورواية لسان العرب لهذا البيت هي :

والأدم كالعيدان آزرها تحت الأشياء مكمم جعل

١٣ - الشمال : الليلة الباردة الشديدة البرد حتى القلائص وهي الإبل لا تستطيع تحمل بردها فيحدوها هذا البرد كأنه يسوقها إلى مرايحها لتتذرى . والترك : ضرب من السير السريع . وصف الشاعر ممدوحه مالكاً القشيري بأنه مأوى لمحتديه لا نظير له في ذلك ، وهذا مدح رفيع بليغ .

١٤ - الطفل التريك : اليتيم ، والمترك . والرأل : ولد النعام .

١٥ - السجل : الدلو المملوء ماء . والسجل من الرجال : الجواد ، وأسجله : أرسله . فيحتمل المعنى هنا غزارة العطاء وكذلك السيب دون طلب .

١٦ - التبجع : المطر يفحص الحجارة لشدة وقعته ، وتبعج السحاب وانبعج بالمطر : انفرج عن الودق والوبل الشديد . التيار : الموج . الحذب : غليظ الأرض ومرتفعها . والحذب : الأكمة ، والموضع المرتفع . غرب في الأرض : تمكن منها وسال سيلاً عظيماً من كل حذب . يعلو : يرتفع عن غيره . وهذا وصف جميل رائع جزل . وتشبيه أروع .

١٧ - وفضله فضل : صيغة مبالغة مناسبة جداً للتشبيه في البيت الذي سبقه .

١٨ - المضيق : التأزم في الحرب وظهرت غلبة الأعداء فلا مناص من رمي النفس . وفعلك الفعل : لا مزيد على شجاعتك وأفعالك البطولية .